نفحات من عبق السيرة النبوية

الدرس التاسع والعشرون

عناصر المحاضرة:

❶ حجة الوداع.

❷ إلى الرفيق الأعلى.

❸ استخلاف أبي بكر - رضي الله عنه - على الصلاة.

❹ آخر يومه في الدنيا.

❺ الاحتضار والموت.

❻ حيرة الصحابة وموقف أبي بكر.

❼ اختيار أبي بكر لخلافته - صلى الله عليه وسلم.

❽ التجهيز وتوديع الجسد الشريف إلى الأرض.

❾ البيت النبوي.

❿ الصفات والأخلاق.

حجة الوداع:

ولما تم إبلاغ الدعوة في أنحاء الجزيرة العربية، وأوجد الله طائفة من المؤمنين تكفلوا بحفظها وبإبلاغها إلى أقصى أرض الله، قدر الله أن يري رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثمار جهده المتواصل قبل أن ينتقل إلى الله، فأكرمه الله بحج بيته المكرم في ذي الحجة سنة 10 هـ.

ولما أراد - صلى الله عليه وسلم - الحج أذن به في الناس، فاجتمع بالمدينة بشر كثير، فلما كان يوم السبت لخمس بقين من ذي القعدة وهو اليوم السادس والعشرون منه، ترجل وادهن، ولبس إزاره ورداءه، وانطلق من المدينة بعد صلاة الظهر، حتى بلغ ذا الحليفة قبل أن يصلي العصر، فصلاها بها ركعتين، ثم بات بها، فلما أصبح قال: أتاني الليلة آت من ربي، فقال: صل في هذا الوادي المبارك، وقل عمرة في حجة، وكان هذا إباحة للعمرة في أيام الحج، وكان أهل الجاهلية يرونها من أفجر الفجور.

ثم اغتسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل الظهر، وتطيب في رأسه وبدنه بطيب فيه مسك. ثم لبس إزاره ورداءه، ثم صلى الظهر ركعتين، وأهل بالحج والعمرة في مصلاه، وقرن بينهما، فقال: "اللهم لبيك عمرة وحجاً، ثم لبى: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك. إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك". وكان أحياناً يقول: "لبيك إله الحق".

ثم خرج من المصلى فركب القصواء، وأهل مرة أخرى، فلما استوت به بالبيداء أهل أيضاً، وأشعر هديه بعد الصلاة وقلدها بذي الحليفة.

"حجَّ النَّبيُّ صلَّى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ علَى رَحْلٍ رثٍّ وقَطيفةٍ تُساوي أربعةَ دراهمَ أو لا تُساوي ثُمَّ قالَ اللَّهمَّ حَجَّةٌ لا رياءَ فيها ولا سُمعةَ" صحيح ابن ماجه

ثم واصل سيره حتى دنا من مكة، فبات بذي طوى، وصلى به الفجر، ثم اغتسل ومضى حتى دخل المسجد الحرام، وذلك صباح يوم الأحد لأربع مضين من ذي الحجة، فطاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة، ثم أقام بأعلى مكة عند الحجون، ولم يعد إلى الطواف، وبقى في إحرامه، لأنه كان قارناً جمع بين إحرامي الحج والعمرة، لكونه قد ساق الهدي، وأمر كل من ساق معه الهدي أن يبقى في إحرامه، وأما من لم يسق معه الهدي فأمره أن يقصر رأسه بعد الطواف والسعي، ويحل حلالاً تاماً، ويجعل عمله هذا عمرة، سواء كان قد أحرم بنية الحج أو العمرة أو كليهما. وقال: لو استقبلت من أمري ما استدبرت لما سقت الهدي، ولجعلتها عمرة، ولأحللت، فحل من لم يكن معه هدي.

ثم توجه - صلى الله عليه وسلم - يوم التروية - وهو اليوم الثامن من ذي الحجة - إلى منى، وأحرم للحج كل من كان قد حل، فصلى بمنى خمس صلوات: الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر، وصلى الرباعية منها ركعتين قصراً، ثم أجاز من منى بعدما طلعت الشمس حتى أتى عرفة، فوجد القبة قد ضربت له بنمرة، فنزل بها، فلما زالت الشمس ركب القصواء وأتى وادي عرنة وقد اجتمع الناس حوله فقام فيهم خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، وتشهد، وأوصى بتقوى الله، ثم قال فيما قال: "أيها الناس! اسمعوا قولي. فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبداً، وأن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمور الجاهلية موضوع تحت قدمي، ودماء الجاهلية موضوعة، وإن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث [وكان مسترضعاً في بني سعد فقتله هذيل] وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع من ربنا ربا العباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله، واتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضرباً غير مبرح، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن

بالمعروف، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به: كتاب الله. وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك بلغت وأديت ونصحت. فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس:" اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد "!

✉وقد بين في هذه الخطبة عدة أمور أخرى، فلما فرغ منها نزل عليه قوله تعالى" {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً}، فكان يوم نعمة وسعادة وشكر.

✉وأذن بلال بعد الخطبة ثم أقام فصلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالناس الظهر ركعتين، ثم أقام فصلى العصر ركعتين، جمعهما في وقت الظهر جمعاً مقدماً، ولم يصل بينهما شيئاً، ثم أتى الموقف فجعل بطن ناقته إلى الصخرات، واستقبل القبلة، فلم يزل واقفاً حتى غربت الشمس، وذهبت الصفرة قليلاً، ثم دفع حتى أتى المزدلفة، فصلى بها المغرب والعشاء بأذان واحد وإقامتين، ولم يسبح بينهما شيئاً.

✉ثم اضطجع حتى طلع الفجر، فصلى الفجر مبكراً، ثم أتى المشعر الحرام، فاستقبل القبلة ودعا وكبر وهلل ووحد حتى أسفر جداً.

✉ثم دفع إلى منى قبل أن تطلع الشمس حتى أتى الجمرة الكبرى، فرماها بسبع حصيات، يكبر مع كل حصاة منها، ولم يزل يلبي حتى رمى الجمرة، فلما رماها قطع التلبية، ووقف عند هذه الجمرة يقول: "خذوا عني مناسككم فلعلي لا أحج بعد عامي هذا".

✉ثم أتى منزله بمنى فنحر ثلاثاً وستين بدنة بيده، ثم نحر علي بقية المائة، وهي سبع وثلاثون بدنة. ثم أمر من كل بدنة ببضعة، فجعلت في قدر وطبخت، فأكلوا من لحمها وشربوا من مرقها.

✉وبعد فراغه من النحر دعا الحلاق، فأعطاه شقه الأيمن فحلق، فقسمه بين الناس من شعره وشعرتين، ثم حلق الأيسر فأعطاه لأبي طلحة.

"وَحَلَقَ"، أي: شَعَرَه، "ناولَ الحالِقَ شِقَّهُ الأيمَنَ فَحَلَقَه"؛ لأنَّهُ كان يُحِبُّ التَّيَمُّنَ في كُلِّ شَيْءٍ، "ثُمَّ دعا أبا طَلْحَةَ الأنْصارِيَّ فَأعْطاهُ إيَّاهُ"، أي: الشَّعرَ المحْلُوقَ، وخَصَّهُ به؛ لمكانَتِهِ، "ثُمَّ نَاوَلَهُ-أي: الحالِقَ- الشِّقَّ الأيْسَرَ، فقال احْلِقْ، فَحَلَقَهُ، فأعْطَاهُ أبا طَلْحَةَ، فقال: اقْسِمْهُ بَيْنَ النَّاسِ"، يعني: بَيْنَ أصْحابِهِ، ولعلَّ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قَسمَ شَعرَهُ بينهم؛ لأنَّهُ عَلِمَ اقْتِرابَ أَجَلِهِ؛ فَجَعَلَ ذلك تَذْكِرةً لهم، وبَرَكةً باقِيةً بَيْنَ أظْهُرِهِمْ، أو مواساةً لهم. الدرر السنية

✉ثم لبس ثيابه، وتطيب قبل أن يطوف، ثم ركب حتى أتى البيت، فطاف طواف الإفاضة، ولم يطف بين الصفا والمروة، وصلى الظهر، وأتى على بني عبد المطلب، وهم يسقون على زمزم، فقال: انزعوا بني عبد المطلب! فلولا أن يغلبكم الناس على سقايتكم لنزعت معكم، فناولوه دلواً فشرب منه.

✉ثم رجع - صلى الله عليه وسلم - إلى منى فمكث بها ليالي التشريق -11، 12، 13، من ذي الحجة - يرمي الجمرات الثلاث كل يوم إذا زالت الشمس، يبدأ بالجمرة الصغرى فيرميها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة، ثم الوسطى، ثم الكبرى كذلك.

✉وقد خطب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خطبة يوم النحر، ثم خطبة في أوسط أيام التشريق. أكد فيها ما سبق في خطبة عرفة وزاد عليها، وقد نزلت عليه سورة النصر في أوسط أيام التشريق قبل الخطبة.

✉وفي اليوم الثالث عشر - وهو يوم النفر الثاني، وثالث أيام التشريق، وكان يوم الثلاثاء - نفر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من منى وبعد رمي الجمرات، فنزل بالأبطح، وصلى هناك

الظهر والعصر والمغرب والعشاء، وبعث عائشة أم المؤمنين مع أخيها عبد الرحمن بن أبي بكر ليعمرها من التنعيم، فأحرمت وقضت عمرتها، ثم جاءته بالأبطح سحراً، وكان - صلى الله عليه وسلم - قد رقد به رقدة، فلما جاءته آذن بالرحيل، وركب إلى البيت فطاف به طواف الوداع، وصلى صلاة الفجر، ثم انصرف متوجهاً إلى المدينة، وقد خرج من أسفل مكة، ولما قرب من المدينة ولاحت له معالمها كبر ثلاثاً ثم قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، آيبون تائبون، عابدون، ساجدون، لربنا حامدون، صدق الله وعده، ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده" .

بعث أسامة بن زيد:

واستقر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالمدينة يسبح ربه بحمده على ما أراه من دخول الناس في دين الله أفواجاً، ومن نجاح دعوته التي قام بها قبل نحو ثلاث وعشرين سنة، وقد استقبل بعد عودته إلى المدينة بعض الوفود، وجهز أسامة بن زيد في سبعمائة مقاتل، وأمره أن يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين، وقد تحرك جيشه ونزل بالجرف على ثلاثة أميال من المدينة، ولكن نقلت إليه أخبار مقلقة عن مرض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فتريث ينتظر النتيجة، فجاء قضاء الله بوفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وأن يكون هذا البعث أول بعث في عهد أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -.

إلى الرفيق الأعلى: معالم التوديع

وبعدما بلغ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة بدأت طلائع الوداع من الدنيا تتسم في أقواله وأفعاله.

اعتكف في رمضان من السنة العاشرة عشرين يوماً، وعارضه جبريل القرآن مرتين، فقال لابنته فاطمة: "لا أرى ذلك إلا اقتراب أجلي"، وودع معاذاً إلى اليمن فأوصاه، ثم قال: "يا معاذ إنك عسى أن لا تلقاني بعد عامي هذا، ولعلك أن تمر بمسجدي هذا وقبري"، فبكى معاذ جشعاً لفراق رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

وقال - صلى الله عليه وسلم - في حجة الوداع مراراً: "لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا، ولعلي لا أحج بعد عامي هذا"، وكان نزول قوله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} ..... الآية، وكذلك نزول سورة النصر إشعاراً بأنه فرغ من مهمته في الدنيا، ولذلك سميت بحجة الوداع، أي إنه ودع الناس لينتقل إلى ربه - سبحانه وتعالى -.

وفي أوائل شهر صفر سنة 11 هـ خرج - صلى الله عليه وسلم - إلى أحد، فصلى على الشهداء كالمودع للأحياء والأموات، ثم انصرف إلى المنبر فقال: "أنا فرط لكم (سابِقُكم وأوَّلُ وارِدٍ منكم على الحَوضِ يَومَ القِيامةِ)، وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض (اتِّساعِ الدَّولةِ الإسلاميَّةِ، وكثرةِ فُتوحاتِها، وتدَفُّقِ الأموالِ عليها)، أو مفاتيح الأرض، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها".

ولكنَّه يَخافُ أن يَحمِلَهم التَّنافُسُ على المالِ والجاهِ على التَّنازُعِ فيما بيْنَهم، فيؤدِّي ذلك بهم إلى العَداوةِ والبَغْضاءِ، والتَّقاتُلِ على الدُّنيا وخَيراتِها؛ فيكون سببًا في هلاكِهم وضَعفِهم، وهذا إنذارٌ بما

سيَقَعُ، وقدْ وقَعَ كما أخْبَر صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ؛ إذ فُتِحت لدُّنيا بعْدَه وبُسِطتْ، وحَصَل التحاسُدُ والتقاتُلُ وغيرُ ذلك ممَّا هو مَعروفٌ يَشهدُ بصِدقِ خبرِه صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ. الدرر السنية

✉وفي أواخر شهر صفر خرج إلى بقيع الغرقد في جوف الليل، فاستغفر لهم وقال: "إنا بكم لاحقون".

بداية المرض:

ويوم الاثنين الأخير من شهر صفر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جنازة في البقيع، قالت عائشة: رجع من البقيع وأنا أجد صداعاً في رأسي، وأنا أقول: وا رآساه، فقال: "بل أنا والله يا عائشة وا رأساه".

✉كان هذا بداية مرضه - صلى الله عليه وسلم - وهو مع ذلك يدور على نسائه، حتى اشتد به المرض، وهو في بيت ميمونة فأخذ يسأل: أين أنا غداً؟ أين أنا غداً؟ يريد يوم عائشة، فأذن له أزواجه أن يكون حيث شاء، فخرج يمشي بين الفضل بن عباس، وعلى بن أبي طالب، وتخط قدماه بالأرض، حتى انتقل إلى بيت عائشة.

عهده ووصيته:

✉قالت عائشة - رضي الله عنها لما دخل بيتي، واشتد به وجعه قال: "هريقوا علي من سبع قرب، لم تحلل أوكيتهن، لعلي أعهد إلى الناس".

✉فأجلسناه في مخضب لحفصة زوج النبي - صلى الله عليه وسلم -، ثم طفقنا نصب عليه من تلك القرب، حتى طفق يشير إلينا أن قد فعلتن، ثم خرج إلى الناس، فصلى بهم وخطبهم.

✉وقال فيما قال: "أن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك". وقال: "لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد". وقال: "لا تتخذوا قبري وثناً يعبد".

✉وعرض نفسه للقصاص، وأوصى بالأنصار خيراً، ثم قال: "إن عبداً خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء وبين ما عنده، فاختار ما عنده". قال أبو سعيد الخدري: فبكى أبو بكر وقال: فديناك بآبائنا وأمهاتنا. فقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ، يخبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا وبين ما عنده، وهو يقول: فديناك بآبائنا وأمهاتنا، فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو المخير، وكان أبو بكر أعلمنا.

✉ثم أثنى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على أبي بكر، وأمر بسد الأبواب الشارعة في المسجد، إلا باب أبي بكر.

✉وكان ذلك يوم الأربعاء، فلما كان يوم الخميس وقد أشتد به الوجع، قال "هلموا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده"، فقال عمر: قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن، حسبكم كتاب الله، فاختلفوا، فلما أكثروا اللغط والاختلاف قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "قوموا عني".

✉وأوصى في ذلك اليوم بإخراج اليهود والنصارى والمشركين من جزيرة العرب، وبإيجاز الوفود بنحو ما كان يجيزهم، وأكد لهم أمر الصلاة، وما ملكت أيمانهم، وقال: "تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنتي".

استخلاف أبي بكر - رضي الله عنه - على الصلاة:

✉وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - مع شدة مرضه يصلي بالناس، فلما كان ذلك اليوم - يوم الخميس - وحان وقت صلاة العشاء اغتسل - صلى الله عليه وسلم - في مخضب ليتخفف، ثم ذهب ليقوم فأغمي عليه، ثم أفاق فاغتسل ثانياً، ثم ذهب ليقوم فأغمي عليه، ثم أفاق فاغتسل ثالثاً فلما ذهب ليقوم أغمي عليه، فأرسل إلى أبي بكر أن يصلي بالناس، فصلى أبو بكر تلك الأيام، وجملة الصلوات التي صلاها أبو بكر بالناس سبع عشرة صلاة.

✉ويوم السبت أو - صلى الله عليه وسلم - الأحد وجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في نفسه خفة فخرج بين رجلين لصلاة الظهر، وأبو بكر يصلي بالناس، فأجلساه إلى يساره، فكان أبو بكر يقتدي بصلاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والناس يقتدون بأبي بكر، يسمعهم التكبير.

تصدقه بما لديه:

ويوم الأحد أعتق النبي - صلى الله عليه وسلم - غلمانه، وتصدق بسبعة دنانير كانت عنده، ووهب المسلمين سلاحه، وجاء الليل فأرسلت عائشة - رضي الله عنها - بمصباحها إلى امرأة وقالت: أقطري لنا في مصباحنا من عكتك السمن، وكانت درعه - صلى الله عليه وسلم - مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من الشعير.

آخر يومه في الدنيا:

✉ولما أصبح يوم الاثنين - وكان يوم نوبة عائشة - وقام أبو بكر يصلي بالناس صلاة الفجر كشف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ستر حجرة عائشة فنظر إليهم، ثم تبسم يضحك، فنكص أبو بكر على عقبيه، وظن أنه - صلى الله عليه وسلم - يريد أن يخرج إلى الصلاة، وهم المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم، فرحاً برسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فأشار إليهم بيده أن أتموا صلاتكم، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر.

✉وفي هذا اليوم - أو في هذا الأسبوع - دعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاطمة فسارها بشيء فبكت، ثم سارها بشيء فضحكت، وسألتها عائشة عن ذلك فكتمت، حتى توفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبرتها أنه قال لها في الأولى: إنه يموت في مرضه هذا فبكيت، وقال لها في الثانية: إنها أول أهله يتبعه فضحكت، وبشرها أيضاً أنها سيدة نساء العالمين.

✉ورأت فاطمة ما برسول الله - صلى الله عليه وسلم - من شدة الكرب، فقالت: "واكرب أباه"، فقال: "ليس على أبيك كرب بعد اليوم"، ودعا الحسن والحسين فقبلهما، ودعا أزواجه فوعظهن وذكرهن.

✉وطفق الوجع يشتد ويزيد، وانتقض السم الذي أكله بخيبر، فأخذ يحس بشدة ألمه، وكان قد طرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم كشفها عن وجهه، فقال وهو كذلك: "لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد - يحذر ما صنعوا - لا يبقين دينان بأرض العرب"، وكان هذا من آخر ما تكلم وأوصى به الناس، وكرر مراراً: "الصلاة، الصلاة، وما ملكت أيمانكم" .

الاحتضار والموت:

وبدأ الاحتضار فأسندته عائشة - رضي الله عنها - إلى صدرها بين سحرها ونحرها، وجاء أخوها عبد الرحمن بسواك من جريدة رطبة، فأخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ينظر إلى السواك، ففهمت عائشة أنه يريده، فسألته فأشار برأسه: أن نعم، فأخذته ومضغته حتى لينته، فاستاك به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كأحسن ما كان يستاك، وبين يديه ركوة فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء، ويسمح به وجهه، ويقول: لا إله إلا الله، إن للموت سكرات.

ثم رفع يديه أو إصبعه وشخص بصره نحو السقف، وتحركت شفتاه، فأصغت إليه عائشة فسمعته يقول: "مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى، اللهم الرفيق الأعلى".

وكرر الكلمة الأخيرة ثلاثاً، وفاضت روحه، ومالت يده، ولحق بالرفيق الأعلى، وذلك يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة 11 هـ حين اشتد الضحى، وقد تم له ثلاث وستون سنة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

حيرة الصحابة وموقف أبي بكر:

وتسرب الخبر بين الصحابة خلال لحظات، فأظلمت عليهم الدنيا، وكادوا يفقدون وعيهم، فلم يكن يوم أحسن ولا أضوء من يوم دخل فيه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة، ولم يكن يوم أظلم ولا أقبح من يوم مات فيه، وكان لهم ضجيج كضجيج الحجاج من البكاء.

وقام عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في المسجد يقول: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يمت ولا يموت حتى يفني الله المنافقين، وأخذ يتوعد بالقطع والقتل من يقول إنه مات، والصحابة حوله في المسجد حائرون مندهشون.

وكان أبو بكر - رضي الله عنه - قد خرج إلى مسكنه بالسنح حين رأى الخفة في مرضه - صلى الله عليه وسلم - صباحاً، فلما توفي - صلى الله عليه وسلم - أقبل أبو بكر على دابته حتى نزل، فدخل المسجد، فلم يكلم الناس، حتى دخل على عائشة، فقصد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وهو مسجى ببرد حبرة، فكشف وجهه، فقبله وبكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي، ولا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كتبت عليك فقدمتها.

ثم خرج فقال: اجلس يا عمر، فأبى أن يجلس، فتركه وجاء إلى المنبر وقام بجنبه، وترك الناس عمر، وأقبلوا إليه، فتشهد وقال: أما بعد، من كان منكم يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله - تعالى -. {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ}.

قال ابن عباس: فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية، حتى تلاها أبو بكر فتلقاها منه الناس، فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها.

قال عمر: فوالله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعرفت أنه الحق، فعقرت، حتى ما تقلني رجلاي، وحتى هويت إلى الأرض، وعرفت أنه قد مات.

اختيار أبي لخلافته - صلى الله عليه وسلم:

وكان أهم قضية بعد وفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو اختيار أمير يقوم مقامه - صلى الله عليه وسلم - في إدارة شئون العباد والبلاد، وكان علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - يرى أنه أحق بالخلافة، لقرابته منه - صلى الله عليه وسلم -، فاجتمع هو والزبير ورجال من بني هاشم في بيت فاطمة - رضي الله عنها - واجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة ليختاروا أميراً منهم، واجتمع المهاجرون إلى أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما -.

وذهب أبو بكر وعمر رضي الله عنهما - ومعهما أبو عبيدة بن الجراح والمهاجرون - إلى سقيفة بني ساعدة فجرى بينهم وبين الأنصار نقاش وحوار ذكر فيه الأنصار فضلهم واستحقاقهم، فقال أبو بكر إن ما ذكرتم من خير فأنتم أهله، وما تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش - أي لا ينقادون لحكم أحد غير قريش - هم أوسط العرب نسباً وداراً، ثم أخذ بيد عمر وبيد أبي عبيدة، وقال: قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، فقال رجل من الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، فكثر اللغط والأصوات، وخشوا الاختلاف، فقال عمر لأبي بكر: ابسط يدك، فبسطها، فبايعه هو والمهاجرون والأنصار.

التجهيز وتوديع الجسد الشريف إلى الأرض:

ويوم الثلاثاء غسلوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم يجردوه من ثيابه، وقام بغسله العباس وعلي، والفضل وقثم ابنا العباس، وشقران مولى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وأسامة بن زيد، وأوس بن خولى، وكان العباس وابناهما يقلبونه، وأسامة وشقران يصبان الماء، وعلي يغسله، وأوس أسنده إلى صدره.

وقد غسلوه ثلاث غسلات بماء وسدر، وكان الماء من بئر لسعد بن خيثمة بقباء، يقال لها الغرس، وكان - صلى الله عليه وسلم - بشرب منها.

وكفن في ثلاثة أثواب بيض سحولية من كرسف، وليس فيها قميص ولا عمامة، أدرج فيها إدراجاً.

وحفر أبو طلحة قبره في الموضع الذي توفي فيه، وجعل القبر لحداً، ثم وضع سريره على شفير القبر، ودخل الناس ارسالاً عشرة فعشرة، ويصلون عليه أفذاذاً، لا يؤمهم أحد، وأول من صلى عليه عشرته، ثم المهاجرون، ثم الأنصار، ثم الصبيان ثم النساء، أو النساء ثم الصبيان.

وانتهى في ذلك يوم الثلاثاء ومعظم ليلة الأربعاء، ثم أنزلوه - صلى الله عليه وسلم - في القبر ودفنوه في أواخر الليل - صلى الله عليه وسلم -.

البيت النبوي:

وكان له - صلى الله عليه وسلم - في مختلف مراحل حياته إحدى عشرة امرأة أو اثنتا عشرة امرأة، واجتمع منهن تسع في آخر حياته، وأما الاثنتان أو الثلاث فقد وافتهن الوفاة والنبي - صلى الله عليه وسلم - حي، وفيما يلي ذكر موجز لهن:

1 - أم المؤمنين خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها

تقدم أن النبي - صلى الله عليه وسلم - تزوجها وهي في سن الأربعين، وهو ابن خمس وعشرين سنة، وجميع أولاده - صلى الله عليه وسلم - منها سوى إبراهيم، ولم يتزوج عليها امرأة أخرى مدة حياتها، توفيت بمكة في رمضان سنة عشر النبوة، ودفنت بالحجون. ولها 65 سنة.

2 - أم المؤمنين سودة بنت زمعة - رضي الله عنها -

كانت تحت ابن عمها السكران بن عمرو، فأسلما وهاجرا إلى الحبشة، ثم رجعا فمات عنها، فتزوجها النبي - صلى الله عليه وسلم -، وذلك في شوال سنة عشر من النبوة، بعد وفاة خديجة بنحو شهر، وتوفيت بالمدينة في شوال سنة 54 هـ.

3 - أم المؤمنين عائشة الصديقة بنت الصديق - رضي الله عنها -تزوجها النبي - صلى الله عليه وسلم - في شوال سنة إحدى عشرة من النبوة بعد سودة بسنة، وهي بنت ست سنين، وبنى بها في شوال بعد الهجرة بسبعة أشهر وهي بنت تسع سنين، ولم يتزوج بكراً غيرها، وهي أفقه نساء الأمة، وفضلها على النساء كفضل الثريد على السائر الطعام، وتوفيت في 17 رمضان سنه 57 هـ أو 58 هـ ودفنت بالبقيع.

4 - أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب - رضي الله عنها ـ كانت تحت خنيس بن حذافة السهمي، فتوفي عنها بين بدر وأحد لجرح أصابه في بدر، ثم انتقض عليه فيما بعد، فلما حلت تزوجها النبي - صلى الله عليه وسلم - في شعبان سنة 3 هـ، توفيت بالمدينة في شعبان سنة 45 هـ ولها ستون سنة، ودفنت بالبقيع.

5 - أم المؤمنين زينب بنت خزيمة الهلالية - رضي الله عنها كانت تحت عبيدة بن الحارث، فقتل عنها يوم بدر، فتزوجها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في رمضان سنة 3 هـ. وقيل: وكانت تحت عبد الله بن جحش فقتل عنها يوم أحد، فتزوجها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في سنة 4 هـ كانت تسمى في الجاهلية بأم المساكين، لإطعامها إياهم، توفيت في آخر ربيع الآخر سنة 4 هـ بعد الزواج به - صلى الله عليه وسلم - بثمانية أشهر أو بنحو ثلاثة أشهر، فصلى عليها النبي - صلى الله عليه وسلم - ودفنت بالبقيع.

6 - أم المؤمنين أم سلمة هند بنت أبي أمية - رضي الله عنها كانت تحت أبي سلمة، وله منها أولاد، فتوفي عنها في جمادي الآخرة سنة 4 هـ فتزوجها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ليال بقين من شوال سنة 4 هـ كانت من أفقه النساء وأعقلهن، توفيت سنة 59 هـ وقيل 62 هـ ودفنت بالبقيع، ولها 84 سنة.

7 - أم المؤمنين زينب بنت جحش بن رئاب - رضي الله عنها وهي ابنة أميمه بنت عبد المطلب: عمة النبي - صلى الله عليه وسلم - زوجت بزيد بن حارثة، فلم يوفق بينهما، حتى طلقها زيد، وكان قد تبناه النبي - صلى الله عليه وسلم - فيقال له زيد بن محمد، كما تقدم، وكان أهل الجاهلية يرون تحريم زوجة المتبنى على أبيه المتنبي مثل تحريم زوجة الابن الحقيقي، فلما انقضت عدة زينب من زيد زوجها الله - سبحانه وتعالى - بالنبي - صلى الله عليه وسلم - من فوق سبع سماوات، وأبطل التبني، وذلك في ذي القعدة سنة 5 هـ وقيل: في سنة 4 هـ وكانت من أعبد النساء وأعظمهن صدقة. توفيت سنة 20 هـ ولها 53 سنة. وكانت أول أمهات المؤمنين وفاة بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، صلى عليها عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ودفنت بالبقيع.

8 - أم المؤمنين جويرية بنت الحارث سيد بني المصطلق - رضي الله عنهما سبيت في غزوة بني المصطلق في شعبان سنة 6 هـ وقيل: سنة 5 هـ فوقعت في سهم ثابت بن قيس فكاتبها. فقضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كتابتها، فأعتقها وتزوجها، فأعتق المسلمون مائة أهل بيت من بني المصطلق، وقالوا: أصهار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكانت أعظم النساء بركة على قومها، وتوفيت في ربيع الأول سنة 56 هـ وقيل:55 هـ ولها 65 سنة.

9 - أم المؤمنين أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان - رضي الله عنهما كانت تحت عبيد الله بن جحش فولدت له حبيبة فكنيت بها، وهاجرت معه إلى الحبشة، فتنصر عبيد الله، وتوفي مرتداً، وثبتت هي على الإسلام، فلما بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عمرو بن أميه الضمري بكتابه إلى النجاشي أمره أن يزوجها النبي - صلى الله عليه وسلم - فزوجها به النجاشي، وأصدقها من عنده أربعمائة دينار، وبعثها مع شرحبيل بن حسنة، فابتنى بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد رجوعه من خيبر في صفر أو ربيع الأول سنة 7 هـ توفيت سنة 42 هـ أو 44 هـ أو 50 هـ.

10 - أم المؤمنين صفية بن حيي بن أخطب - رضي الله عنها هي بنت سيد بني النضير، من بني إسرائيل، من سلالة هارون عليه السلام، سبيت في خيبر، فاصطفاها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لنفسه، وعرض عليها الإسلام فأسلمت، فأعتقها وتزوجها بعد فتح خيبر سنة 7 هـ وابنتي بها بسد الصبهاء على بعد 12 ميلاً من خيبر في طريقه إلى المدينة. توفيت سنة 50 هـ وقيل: 52 هـ وقيل 36 هـ ودفنت بالبقيع.

11 - أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية - رضي الله عنها هي أخت أم الفضل لبابة الكبرى بنت الحارث الهلالية زوج العباس - رضي الله عنهما - تزوجها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في ذي القعدة سنة 7 هـ في عمرة القضاء بعد أن حل منها، وابنتي بها بسرف على بعد تسعة أميال من مكة، وقد توفيت بسرف سنة 61 هـ، وقيل: 63 هـ وقيل 38 هـ ودفنت هناك، ولا يزال موضع قبرها معروفاً.

فهذه إحدى عشرة امرأة هن أمهات المؤمنين وأزواج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالاتفاق، واختلف في امرأة واحدة وهي ريحانة بنت زيد، أنها كانت من أزواجه - صلى الله عليه وسلم - أو من سراريه، وهي من بني النضير، وكانت عند رجل من بني قريظة، فوقعت في غزوة بني قريظة في السبايا، فاصطفاها النبي - صلى الله عليه وسلم - لنفسه، فيقال: إنه أعتقها وتزوجها في المحرم سنة 6 هـ فهي من أمهات المؤمنين، ويقال: إنه - صلى الله عليه وسلم - لم يعتقها، بل كان يأتيها بملك اليمين، فهي من سراريه، توفيت مرجعه - صلى الله عليه وسلم - - من حجة الوداع، فدفنها بالبقيع.

وكانت له - صلى الله عليه وسلم - سوى هؤلاء النسوة سرية واحدة، وهي مارية القبطية، وأهداها له المقوقس في جملة ما أهداه حينما رد على كتابه - صلى الله عليه وسلم -، وكانت من بنات الملوك، فخصها النبي - صلى الله عليه وسلم - لنفسه، وقد ولدت له إبراهيم، توفيت سنة 16 هـ ويقال: في المحرم سنة 15 هـ ودفنت بالبقيع.

أولاده - صلى الله عليه وسلم:

تقدم أن جميع أولاده - صلى الله عليه وسلم - من خديجة إلا إبراهيم. وهم:

1 - القاسم: وهو أكبر ولد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وبه كان يكنى، وعاش حتى مشى، ثم توفي وهو نحو سنتين.

2 - زينب: وهي أكبر بناته - صلى الله عليه وسلم -، أصيبت في الله، فقال - صلى الله عليه وسلم - تلك أفضل بناتي. ولدت بعد القاسم، وتزوجها أبو العاص بن الربيع، وهو ابن خالتها هالة بنت خويلد، ولدت زينب ابناً اسمه علي، وبنتاً اسمها أمامه، وهي التي كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحملها في الصلاة، توفيت زينب في أوائل سنة ثمان بالمدينة.

3 - رقية: تزوجها عثمان بن عفان - رضي الله عنه - فولدت له ابناً اسمه عبد الله، وقد بلغ ست سنين، ثم نقره ديك في عينه فمات، ماتت رقية ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - في بدر، وجاء زيد بن حارثة بشيراً إلى المدينة، فوجدهم قد سووا التراب على قبرها.

4 - أم كلثوم: زوجها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عثمان بن عفان - رضي الله عنه - بعد وفاة رقية مرجعه من بدر، ولم تلد له شيئاً، توفيت في شعبان سنة 6 هـ ودفنت بالبقيع.

5 - فاطمة: وهي أصغر بناته - صلى الله عليه وسلم -، وأحبهن إليه، وهي سيدة نساء أهل الجنة، وتزوجها علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - بعد بدر، فولدت له ابنين: حسناً وحسيناً، وبنتين: زينب وأم كلثوم، وأم كلثوم هذه تزوجها عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فولدت له زيداً، ثم مات عنها فتزوجها عون بن عمها جعفر، وتوفي عون فتزوجها أخوه محمد، وتوفي محمد فتزوجها أخوه عبد الله، ثم ماتت وهي عنده، وتوفيت فاطمة - رضي الله عنها - بعد النبي - صلى الله عليه وسلم - بستة أشهر.

[هؤلاء الخمسة المذكورين من أولاده - صلى الله عليه وسلم - ولدوا قبل أن يكرمه الله بالنبوة والرسالة

6 – عبد الله: يقال إنه ولد في الإسلام، ويقال: بل قبل ذلك، وتوفي وهو صغير، وكان آخر أولاد النبي - صلى الله عليه وسلم - من خديجة.

7 - إبراهيم: ولد بالمدينة من سريته - صلى الله عليه وسلم - مارية القبطية، في جمادي الأولى أو جمادي الآخرة سنة 9 هـ وتوفي 29 شوال سنة 10 هـ يوم كسفت الشمس بالمدينة وهو رضيع، ابن ستة عشراً أو ثمانية عشر شهراً، ودفن بالبقيع، وقد قال - صلى الله عليه وسلم "إن له مرضعاً يتم رضاعه في الجنة".

الصفات والأخلاق:

كان سول الله - صلى الله عليه وسلم - يمتاز بجمال الخلق وكمال الأخلاق، وقد ورد في هذا الباب أحاديث كثيرة وجليلة، نلخص هنا معانيها ومغزاها بالإيجاز.

محمد سيد الكونين والثقلي ـن والفريقين من عرب ومن عجمِ

فاق النبيين في خلقٍ وفي خُلُقٍ ولم يدانوه في علمٍ ولا كرم

وكلهم من رسول الله ملتمسٌ غرفاً من البحر أو رشفاً من الديمِ

فهو الذي تم معناه وصورته ثم اصطفاه حبيباً بارئُ النسم

منزهٌ عن شريكٍ في محاسنه فجوهر الحسن فيه غير منقسم

وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف وانسب إلى قدره ما شئت من عظم

فإن فضل رسول الله ليس له حدٌّ فيعرب عنه ناطقٌ بفم

الوجه وما بالوجه: كان وجه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبيض مليحاً، مستديراً، أزهر اللون، مشرباً بالحمرة، يتلألأ تلألؤ القمر ليلة القدر، وكان إذا سر وجهه كأنه قطعة قمر، وتبرق أساريره كما يبرق السحاب المتهلل، كأن الشمس تجري فيه، بل لو رأيته رأيت الشمس طالعة، أما عرقه في وجهه فكأنه اللؤلؤ، ولريح عرقه أطيب من المسك الأذفر، وإذا غضب احمر وجهه حتى كأنما فقئ في وجنتيه حب الرمان.

✉وكان سهل الخدين، واسع الجبين، متقوس الحاجبين، سابغهما مع الدقة، غير مقترنين، وقيل كان مقرون الحاجبين، واسع العينين، مشرباً بياضهما بحمرة، مع شدة سواد الحدقة، أهدب الأشفار، أي كثير شعر الأجفان مع طوله، إذا نظرت قلت: أكحل العينين، وليس بأكحل وكان أَقْنَى الْعَرَنَيْنَ (طول الأنف ودقة أرنبته)، له نور يعلوه، يحسه من لم يتأمله أشم، تام الأذنين، حسن الفم وكبيره، أفلج الثنيتين، منفصل الأسنان، براق الثنايا، إذا تبسم تبدو أسنانه كأنها حب الغمام، وكان فيها شنب، أي نوع من اللمعان، فإذا تكلم رئي كالنور يخرج من بين ثناياه، وكان من أحسن الناس ثغراً.

✉وكانت لحيته حسنة كثة، ممتلئة من الصدغ إلى الصدغ، تملأ النحر، شديدة السواد، وكان في الصدغين والعنفقة شيء من البياض، شعرات معدودة فقط.

الرأس والعنق والشعر: وكان ضخم الهامة، كبير الرأس، طويل العنق، كأنه إبريق فضة، أو جيد دمية، وله وفرة تبلغ إلى أنصاف الأذنين، أو شحمتي الأذنين، وربما أسفل من ذلك، وربما تضرب المنكبين، وكان في شعر ناصيته أيضاً بعض البياض، ولكن قليلاً جداً بحيث لم يبلغ مجموع ما في رأسه ولحيته من البياض عشرين شعرة، وكان في رأسه شيء من الجعودة، أي التواء خفيف، وكان يرجل رأسه ولحيته غبًّا، ويفرق من وسط الرأس.

الأطراف والأعضاء: وكان عظيم رؤوس العظام، كالمرفقين والكتفين والركبتين، طويل الزندين، عظيم الساعدين، رحب الكفين والقدمين، ليس لهما أخمص، ناعم اليدين، فقد كانتا ألين من الحرير والديباج، وأبرد من الثلج، وأطيب من رائحة المسك، وكان ضخم العضدين والذارعين والأسافل، خفيف العقبين والساقين، بعيد ما بين المنكبين، سائل الأطراف، عريض الصدر، أجرد عن الشعر، فكان من لبته إلى سرته شعر يجري كالقضيب، ولم يكن في بطنه ولا صدره شعر غيره، وكان أشعر الذراعين والمنكبين، سواء البطن والصدر، في إبطيه عفرة، أما ظهره فكأنه سبيكة فضة.

القد والجسد: وكان حسن القد، معتدل القامة، سبط القصب، ولا قصيراً متردداً، ولا طويلاً بائنا، ولكن كان أقرب إلى الطول، فلم يكن يماشيه أحد ينسب إلى الطول إلا طاله هو - صلى الله عليه وسلم -، وكان معتدل الجسد، متماسك البدن، لا سميناً بدناً ولا هزيلاً ناحلاً، بل غصناً بل غصنين. فهو أنظر الثلاثة منظراً، وأحسنهم قداً.

✉طيب رائحته - صلى الله عليه وسلم -وكان لجسده وعرقه وأعضائه - صلى الله عليه وسلم - ريح أطيب من كل طيب، قال أنس - رضي الله عنه ما شممت عنبراً قط، ولا مسكاً ولا شيئاً أطيب من ريح رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال -، جابر: لم يكن النبي - صلى الله عليه وسلم - يمر في طريق فيتبعه أحد إلا عرف أنه سلكه، من طيبه، وكان يصافح الرجل فيظل يومه يجد ريحها، ويضع يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها، وحفظت أم سليم عرقه في قارورة لتجعله في طيبها، لأنه أطيب الطيب.

صفة المشي: وكان - صلى الله عليه وسلم - سريع المشي، يمشي مشي السوقي، ليس بالعاجز ولا الكسلان، لم يكن يلحقه أحد، قال أبو هريرة: ما رأيت أحداً أسرع في مشيه من رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، كأنما الأرض تطوى له، إنا لنجهد أنفسنا وإنه لغير مكترث.

✉وكان إذا وطئ بقدمه وطئ بكلها، ليس لها أخمص، وإذا التفت التفت جميعاً، فإذا أقبل أقبل جميعاً، وإذا أدبر أدبر جميعاً، وإذا زال زال قلعاً، فإذا مشى كأنه ينحط من صبب، أي ينحدر من مكان مرتفع، وكان يخطو تكفئاً ويمشي هوناً.

الصوت والكلام: وكان في صوته - صلى الله عليه وسلم - بحة يسيرة، وكان حلو المنطق وقوراً، فإذا صمت علاه الوقار، وإذا تكلم علاه البهاء، أما نطقه فكان كخزرات نظمن يتحدرن، وكان يفتتح الكلام ويختمه بأطرافه، ويتكلم بكلام فصل، لا فضول فيه لا تقصير، يتبين كل حرف

منه، وكان فصيحاً بليغاً، سلس الطبع، ناصع الكلمات، لا يجاريه أحد مهما كان فصيحاً أو بليغاً، وكان قد أوتي جوامع الكلم مع الحكمة وفصل الخطاب.

نبذة من أخلاقه - صلى الله عليه وسلم: وكان - صلى الله عليه وسلم - دائم البشر سهل الخلق، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، وكان أكثر الناس تبسماً، وأبعد الناس غضباً، وأسرعهم رضاء، يختار أيسر الأمرين ما لم يكن إثماً، فإذا كان إثماً وكان أبعد الناس منه، لم ينتقم لنفسه قط، وإنما كان ينتقم لله إذا انتهكت محارمه. وكان أجود الناس وأكرمهم وأشجعهم وأجلدهم، وأصبرهم على الأذى، وأوقرهم، وأشدهم حياء، إذا كره شيئاً عرف في وجهه، ولم يكن يثبت نظره في وجه أحد، ولا يواجه أحداً بمكروه.

وكان أعدل الناس، وأعفهم، وأصدقهم لهجة، وأعظمهم أمانة، سمي بالأمين قبل النبوة، وكان أشد الناس تواضعاً وأبعدهم عن الكبر، وأوفى الناس بالعهود، وأوصلهم للرحم، وأعظمهم شفقة ورحمة، وأحسنهم عشرة وأدباً، وأبسطهم خلقاً، وأبعدهم عن الفحش والتفحش، واللعن، يشهد الجنائز، ويجالس الفقراء والمساكين، ويجيب دعوة العبيد، ولا يترفع عليهم في مأكل ولا ملبس، يخدم من خدمه، ولم يعاتب خادمه، حتى لم يقل له أف قط.

هذا، ولا يمكن إحاطة أوصافه - صلى الله عليه وسلم - بالبيان، فنكتفي بهذا القدر القليل، سائلين الله - سبحانه وتعالى - أن يتقبل منا هذه البضاعة المزجاة، ويوفقنا لا تباع سبيل سيد المرسلين وإمام الأنبياء والمتقين محمد خير الخليقة أجمعين. اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه البررة المكرمين، واجعلنا تحت لوائه يوم الدين. آمين يا رب العالمين.

المراجع:

1. روضة الأنوار في سيرة النبي المختار المباركفوري.
2. الرحيق المختوم المباركفوري.